بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لله ، وصلاة وسلاما على خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام .

وبعد :

فهذه موسوعة فقهية معاصرة كتبها ـ بآرائهم وفكرهم ـ عشرات الفقهاء الموثقين، وهى ـ بالتالى ـ مرشحة لتكون أقرب موسوعة للفقه الجماعى المعاصر الذى تسعى الأمة إليه ، بعد أن أقحم بعضهم أنفسهم فى عالم الاجتهاد دون أن يملكوا أدواته ووسائله .

ولأنها موسوعة حيّة للفقه المعاصر تَقْرأُ القديم بعقل مؤمن ملتزم ، لكنه عقل منفتح ، فإنها ـ من خلال محررها ـ عمدت إلى المزج بين الفكر والفقه ، بحيث تقدم الرؤية الإسلامية الموجهة للقضايا الفقهية ، حتى لا يبقى الفقه أسير أساليب جامدة ومقولات محنطة ، وحتى لا تبقى الخلافات الفقهية خاضعة لحواجز ثابتة ، تمنعها من الترجيح والملاءمة والتيسير ، فكأننا أمام مذاهب أصولية ، مع أن الفقه آراء فرعية ، موصولة بالأصول ، وما قرره الفقهاء عبر عصور الاجتهاد ، هو تعبير عن فقههم فى ضوء (الأصول) ـ كتابًا أو سنة ـ وفى ضوء معالجة مقتضيات واقعهم،وهم فى ذلك ، بين منهجين مقبولين : منهج من يجنح إلى التحوّط والحذر والأخذ بالعزيمة ، ومن يجنح إلى التيسير والأخذ بما يؤمن أن الناس يقدرون عليه .

وجدير بالذكر أن المذاهب الثلاثة عشر الكبرى التى ظهرت فى قرون الألق والاجتهاد لم تخرج عن التعبير عن (فقه القرآن والسنة وقواعد الاجتهاد ومعالجة المشكلات الظرفيّة).

ومع ذلك فقد أفرزت خلافات فى كثير من القضايا ، مما يؤكد أن (الاجتهاد فى كل عصر فرض) ، ويؤكد أن الحكمة الإلهية التى قررت صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ـ عبْر الدنيا كلها ـ قد أنزلت على خاتم الأنبياء الذى لا نبىّ بعده نصوصًا تسمح بالاجتهاد المتطور ـ فى ضوء الالتزام بالثوابت والأصول ـ وهى معجزة من معجزات النصوص ومعجزات التشريع الإسلامى !!

وقد ضرب لنا الأئمة الأعلام نماذج عالية فى قبول (الفقه الآخر) واحترام (الاجتهاد

الآخر) ولم نسمع أنهم اختلفوا فيما بينهم على شىء من هذا الاختلاف ، بل كان منهاجهم المقرر : « كلامى صواب يحتمل الخطأ ، وكلام غيرى خطأ يحتمل الصواب » . . . بل كان بعضهم يعول الآخر ماليًا ،ويثنى عليه ، ويفضله على نفسه ، حتى ولو كانت آراء الناس غير ذلك . . . فالتواضع وحسن الأخلاق والحب فى الله فوق كل شىء عندهم .

وليت المتعصبين لبعض الآراء ، والمتجرئين على الفتوى يستوعبون هذا الدرس فى عصرنا ، بعد أن شغلوا الأمة بمعارك فرعية هى فى غنى عنها ، وبعد أن حرموا الإسلام من امتدادات فى عدد من البلدان بعد أن تقاتلوا حول فروع لا تدخل فى شعب الإيمان . . . وهى من الفروع بيقين .

* * *

لقد أتاحت لى الشركة السعودية للأبحاث والتسويق فرصة ذهبية حين هيأت لى إمكانات الاتصال ـ عبر العالم ـ مع أبرز فقهاء الإسلام وعلمائه سواء فى بلاد الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية (حفظها الله) ، وبلدان العالم العربى ولا سيما (مصر) (حرسها الله) ، بل مكنتنى من أن أتصل بفقهاء وعلماء فى شبه القارة الهندية ، وفى بلاد الأقليات الإسلامية . . . كما حاورت أكثر أعضاء لجان الرقابة الشرعية فى المصارف الإسلامية للتعرف على اللغط الذى يثار حول هذه المصارف (وهى ظاهرة معاصرة) . . . ولم نترك ـ والحمد لله أولا وأخيرًا ـ قضية من قضايا الفقه المعاصر ـ أو القديم ـ إلا تطرقنا إليها ؛ إما تفصيلاً ، وإما ضمن موضوعات أخرى مشتبكة بها .

والمرء يعجب لأمتنا التى لا تعرف قيمة ما عندها من كنوز تشريعية ، أفرزت تراثًا فقهيًا يغنيها ويثرى حياتها ويحقق لها الحياة الكريمة فى ظلال دينها .

وقد شهدت لهذا الفقه ـ وأخذت منه ـ كثير من دول العالم ، وإن لم تعترف ـ كعادتها ـ بآيادينا الحضارية ـ ومنها الأيادى التشريعية ـ وقدّمته لأبنائها تقديما يوحى بانتمائه إليها .

* * *

إننى أشكر كل الذين ساعدوا فى إقامة هذا البناء ، وفى تقديم فكرهم وفقههم ، الذى كنا نقدمه ـ بحياد تام ـ مقارنين إياه بغيره ، وصولاً إلى الفقه الأرشد من وجهة نظرنا . . . دون أن نصادر أى رأى ، أو نجنح إلى تفنيده بأسلوب غير علمى .

إنها سياحة فقهية عميقة . . . تلك التى أبحرت فيها قضايا هذه الموسوعة . . . وهى فقه وفكر معًا . . وهى صالحة لشرائح كثيرة من الناس ـ بإذن الله .

وقد قدمتُ القضايا ـ بعون الله ـ بأسلوب علمى بعيدًا عن التقعر والتكلف ، بل لقد عمدت إلى محاولة تقديم القضايا بأسلوب لا يخلو ـ بإذن الله ـ من تشويق ؛ لأننى أومن بأن فقهنا يجب أن يوضع فى إناء شفاف .

* * *

وفى هذا المقام لا أنسى جهود الجهاز العلمى بدار الوفاء وعلى رأسه الشيخ المحقق أنور الباز الذى ـ أومن ـ بأنه سدَّ ثغرات كثيرة كانت الموسوعة فى حاجة إليها وقد تمثل هذا الجهد فيما يلى :

١ ـ ترتيب مسائل الموسوعة وفتاواها ترتيبا فقهيا على أبواب الفقه (الطهارة ، الصلاة ، . . .) وهكذا ، كما هو متبع عند التصنيف فى علم الفقه ، وذلك من خلال الاستعانة بكتب الفقه القديمة والحديثة أمثال : المغنى لابن قدامة ، وفقه السنة للسيد سابق .

٢ ـ ونظرا لأن المسائل والفتاوى التى تناولها السادة العلماء لم تشمل كل أبواب ومسائل الفقه كما هو المعتاد ، وبخاصة المسائل أو المباحث التى لا تتغير بتغير الأزمنة ، فقد قامت الدار من خلال باحثيها باستكمال ما لم يتعرض له العلماء ، بحيث تغنى هذه الموسوعة عن غيرها ، إذ يجد فيها القارئ بغيته إن شاء الله فى كل أبواب الفقه وفروعه التى تناولها فقهاؤنا القدامى بالإضافة إلى القضايا والمسائل الفقهية المعاصرة والمستحدثة ، كما هو واضح من خلال فهارس الموسوعة بكل جزء ، والتى تعرض لها الفقهاء والعلماء والمفتون المعاصرون .

٣ ـ تخريج أحاديث الموسوعة بعزوها إلى مصادرها وتوثيق نصوصها من خلال تتبعها فى مصادرها ومقابلتها عليها ، ثم بيان درجة الحديث ، وما وُجد فيه من ضَعْف أو شذوذ أو علة تقدح فيه وتُخرِجه عن درجة الصحيح والحسن استُبدل بغيره بحديث

مقبول عند السادة العلماء المحدِّثين القدامى والمحدَثين .

٤ ـ مراجعة إحالات القرآن الكريم واستشهاداته وبيان اسم السورة ورقم الآية فى كل ما ورد بالموسوعة .

فجزى الله الجميع خير الجزاء وأجزل لهم المثوبة فى الدنيا والآخرة ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه . والشكر لله أولاً وآخرًا على تمام نعمته وعظيم فضله ومنّته . وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

الدكتور / عبد الحليم عويس